

- مقاربات حول العلاقات مع العمل في الجزائر اليوم

Approche sur les rapports au travail aujourd'hui

الكلمات المفتاحية

العمل، الشغل، السياسات العمومية للتشغيل، البطالة، المعاني الاجتماعية للبطالة، الشباب، الأمل، المواطنة، الاندماج، المحلي،

تركيبية فرقة البحث

أ. رئيس المشروع

الاسم	اللقب	التخصص	الرتبة و الوظيفة	المؤسسة
فؤاد	نوار	أنثروبولوجيا	أستاذ بحث ب	CRASC

ب. أعضاء الفريق

الاسم	اللقب	التخصص	الرتبة و الوظيفة	المؤسسة
كريم	صرادوني	أنثروبولوجيا	ملحق بالبحث	CRASC
كهينة	شاكر	أنثروبولوجيا	ملحق بالبحث	CRASC
نوال	سعدي	علم النفس	ملحق بالبحث	CRASC
بو عبدالله	قاسمي	علم الاجتماع	ملحق بالبحث	CRASC

مدة المشروع : 3 سنوات

الدوافع العلمية للموضوع أو للإشكالية :

- عرض المشروع

يسعى هذا المشروع إلى مناقشة العلاقات التي يقيمها أفراد المجتمع مع العمل¹، في محاولة لمواصلة الاشتغال حول إشكالية "ما معنى العمل بالنسبة للجزائري اليوم؟"، ونعتقد أن مشاركتنا في عدد من المشاريع البحثية و التحقيقات الميدانية بإمكانها أن تسمح لنا بتحديد نتائج تلك التحقيقات، كما بإمكانها أن تسمح لنا بمناقشة العلاقات معه من خلال التغيرات البنوية الحاصلة في بنية اليد العاملة في الجزائر² خصوصا مع بداية العشرية الأولى من الألفية الحالية.

قدم جورج فريدمان³ تنبها حول تعاريف العمل التي لا تأخذ بالاعتبار عينة البعد التاريخي كمعطى أساسي في بناء التصورات النظرية حول علاقة المجتمع بالعمل والتي تنتج تعاريف ميتافيزيقية منفصلة عن سوسيولوجيا، إثنولوجيا و إثنوغرافيا المجتمع المدروس. ما يشد الانتباه هو أن ما دعا إليه فريدمان في تلك الفترة هو نفسه ما تعدوا إليه العديد من المقاربات الفلسفية للعمل (جون ماري فانسون⁴، بوستن مواش⁵ أندري قورز) أو المقاربات السوسيولوجية للعمل (ميشال لالمون، دومينيك ميذا) أو المقاربات الانثروبولوجية للعمل (مونيك سليم⁶، جون بيار إرل⁷) خلال العشريتين الأخيرتين لكن مع فارق مهم يتمثل في أن الأول تحدث ضمن ظرف الثلاثينيات الشهيرة و الباقي تحدث عن ذلك ضمن ظرف أزمة نمط الإنتاج الفوردي التي ولدت أزمة العمل.

ما يمكن أن نستخلصه من جملة الأدبيات المذكورة سالفا أن العلاقة مع العمل جزء لا يمكن أن يفصل عن مضمونه الاجتماعي، التاريخي و الثقافي كما أن التعاريف ذات نزعة التعميمية التي تسعى لتعريف العمل، موضوعه و محدداته التقنية و الاجتماعية لا تلبث أن تواجه التحديات "المحلية" لعلاقة مجتمع ما مع العمل و للمعاني المتعددة التي لا يمكن أن تستوعبها العديد من تلكم التعاريف.

¹العلاقات مع العمل هي علاقات ذات طبيعة موضوعية بناء على مجموعة من العناصر الاجرائية مثل العلاقة مع الأجر، التنشئة الاجتماعية، مع منظومة الحماية الاجتماعية التي يوفرها العمل النمطي، مع وقت و مكان العمل، مرتبطة بالمكانة التي يحتلها الفرد ضمن منظومة التقسيم الاجتماعي للعمل، فمثلا وضعية " البطالة " تحيل إلى علاقة مختلفة مع العمل بالمقارنة مع من موجود ضمن ظرف العمل المأجور، كما أنها ذاتية بامتياز بمعنى ان تشابه الوضعيات المهنية لا تحيل أبدا للعلاقات المتماثلة مع العمل، التجارب الذاتي و الوضعيات خارج فضاء العمل يعتبران مؤشرا هاما في بناء العلاقات معه.

² Ahmed Bouyacoub (2006), « Emploi et croissance en Algérie 1990- 2003 », in Musette Saib et Hammouda Nasr Edinne (sous la direction), La question de l'emploi au Maghreb central, Alger, CREAD, p 137- 150.

³ Georges FRIEDMAN, « Qu'est ce que le travail ? » In annales Economie, Société, Civilisation, 15e année, n° 4 , 1960, pp 684-701.

⁴ Jean Marie VINCENT, Critique du travail, Paris, PUF, 1987 .

⁵ Postone MOISHE, Temps, travail et domination sociale, traduit de l'anglais (Etats- Unis) par Olivier Galtier et Luc Mercier, Paris , Mille et une nuits , 2009

⁶ Monique SELIM, Laurent BAZIN , Motifs économique en anthropologie, Paris, L'harmattan, 2001.

⁷Jean Pierre HIERLE , Relations sociales et cultures d'entreprise, Paris, l'harmattan, 2005.

إن "العمل" الذي يقدم حالياً على أنه أساس الرابط الاجتماعي و باني الفردانية و أساس الاندماج الاجتماعي و فقدانه يعني الإقصاء و التهميش الاجتماعيين، كلها ليست سوى نتائج تطور الرأسمالية الصناعية⁸ التي لم يعد العمل ضمنها مجرد علاقة مع "العمل المجرد"، بل أصبح منخرطاً ضمن منظومات من الحماية الاجتماعية المتعلقة أساساً بالوضعية ضمن منظومة الشغل، في حين أن العمل نفسه لم تكن له كل هذه الإمكانيات مع بداية الرأسمالية الصناعية و حتى قبلها. ما نريد قوله هو أننا نتعامل مع مفهوم عرفت تعاريفه إنزياحات دلالية و بنيت معانيه عبر مسار تطور علاقة الفرد بالعمل و المجتمع. إذا كان العمل حالياً موجود في قلب المسألة الاجتماعية⁹ فذلك تعبير صريح على شدة التغيرات التي شهدتها العديد من المجتمعات.

تؤثر التعاريف بالغايات في كثير من الحالات على دراسة العلاقة مع العمل خصوصاً إذا تم اعتبارها مبدأ التحليل و غايته، و هذه التعاريف التي سبق أن حذر من قصورها كل من جورج فيريدمان و بقية فلاسفة العمل الذين تمت الإشارة إليهم أعلاه تعطي الاعتبار أن علاقة مع العمل هي علاقة لا تاريخية، لذا قد يُلجأ للبحث عن "علاقة مع العمل" من خلال العلاقة مع المواطنة، قد يُلجأ للبحث عن العلاقة مع العمل من خلال علاقة ذلك مع الرابط الاجتماعي، قد يلجأ للبحث من خلال العلاقة مع أشكال تجلي الفردانية ناسين في الكثير من الحالات أن التعاريف التي تحاول أن تقارب مفهوم العمل وفق مجموعة من العناصر الإجرائية هي تعاريف منتج تاريخ تطور المجتمعات الغربية التي تبلورت في القرن الماضي فقط، و أن علاقات العمل مع المواطنة، الرابط الاجتماعي، الاندماج و الإقصاء الاجتماعيين لم يكونوا - على الأقل خلال القرن الثامن عشر - عناصر محددة للمعاني العمل.

الإشكالية

تكشف سلسلة التحقيقات الميدانية¹⁰ التي أجريت من طرف بعض فرق البحث التابعة لمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية عن تعدد و تغير العلاقات مع "العمل"، "منصب العمل" و "مكانة العمل في المسرات الاجتماعية و الفردية"، كما تجلي تزايد أهمية "الشغل الدائم" **plein emploi**، الأهمية لا تعكس فقط تواصل الإشكالية التي كان قد طرحها عبد المالك صياد و بيار بورديو في كتابهم "الاجتثاث"¹¹ المرتبطة خصوصاً "باكتشاف العمل" و إنما تعكس في الوقت ذاته أن التغيرات التي شهدتها بنية اليد العاملة في الجزائر خصوصاً بعد نهاية تطبيق سياسات الإصلاح الهيكلي (1994-1998) الظروف الاقتصادية و الاجتماعية لا تزال تطرح مسألة العمل في صميم المسألة الاجتماعية على حد تعبير روبرت كاستل¹².

ينطلق هذا المشروع من التساؤل يسعى إلى دراسة العلاقة مع العمل من خلال دراسة العلاقة بين تعدد أشكال العمل و تعدد المواقع الاجتماعية ضمنه (من حالة البطالة إلى حالات العمل) من خلال تحليل الخطابات، الممارسات و التمثلات "الشغل" بغية المساهمة بناء تصور حول ما معنى العمل بالنسبة للجزائريين اليوم"، فما نلاحظه من اختلاف بنيوي في منظومة العمل بين العمل المأجور في القطاع الصناعي العمومي، العمل في قطاع الوظيفة العمومية، العمل الرسمي و غير الرسمي، في القطاع الخاص و العمل الحر غير المرتبط في غالب الأحيان بوقت محدد للعمل، أو بموضوع محدد للعمل أو بمكان محدد للعمل، يحيل إلى إمكانية وجود تأثير مباشر على الوضعيات الاجتماعية للأفراد، على مساراتهم المهنية و الاجتماعية و نظرتهم لدور مختلف أشكال العمل في الاندماج الاجتماعي أو الإقصاء و التهميش¹³. إذا كانت حالات الهشاشة الاجتماعية شديدة التعلق بشكل العمل المنخرط فيه، فإن المواقع المهنية المحتملة ضمن منظومة العمل المفتتحة تحيل

⁸ Castel Robert , *La montée de l'incertitude, travail, protections et statut de l'individu*, Paris, le seuil, 2009, P 23.

⁹ Voir Pierre Rosanvallon , *La nouvelle question sociale, repenser l'Etat – Providence*, Paris , le Seuil ,1995.

Voir Robert Castel , *La métamorphose de la question sociale, une chronique du salariat*, Paris , Fayard, 1995.

Jacques Commille, *Les nouveaux enjeux de la question sociale*, Paris , Hachette , 1997.

¹⁰ شاركت في كل هذه التحقيقات بداية من: تحقيق وطني حول "النساء و الاندماج السوسيو مهني"، تحقيق حول علاقة النساء بالعمل و الأسرة. العينة 13755 امرأة (تحت إشراف نورية رمعون) سنة 2006. (تحقيق في طور النشر تحت إشراف نورية رمعون، مجاهدي مصطفى و نوار فؤاد) تحقيق

• حول "علاقة الشباب بهن البناء و الأشغال العمومية"، تحقيق شمل ورشات البناء في ولايات وهران، غليزان و تلمسان

M. Catusse, E . verdier et B. Distrimau (sous la direction), *L'Etat face au débordement du social au Maghreb*, Paris, Karthala, 2009

• التحقيق حول "تقييم السياسات العمومية للتشغيل، التكوين و الترفيه لدى شباب ولايتي غرداية و وهران"، تحقيق على مستوى الوحدات السكنية، أجري ضمن المشاريع الوطنية للبحث، شمل 2000 وحدة سكنية و 5077 شاباً (16-34 سنة)، 2012، تقرير غير منشور.

• تحقيق حول مصير العمال المسرحين و عمال وحدة تريفيلور"، تحقيق أجري ضمن الإعداد لرسالة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا، أنظر: نوار فؤاد، "المؤسسة في أزمة و الثقافة العمالية". دراسة حول العمال المسرحين و حول المستخدمين الحاليين في تريفيلور"، تحت إشراف حسن رمعون، نوقشت في جوان 2012.

¹¹ Bourdieu Pierre, Sayad Abdelmalek (1964), *Le déracinement*, les éditions Minuits, p 61-84.

¹² Cf. Castel Robert (1995), *La métamorphose de la question sociale*, Paris, Fayard, P 15.

Cf, Castel Robert (2003), *l'insécurité sociale. Qu'est-ce que être protégé*, Paris , le Seuil

Cf . Castel Robert (2009), *La montée des incertitudes. Travail, protection et statut de l'individu*, Paris, le Seuil.

¹³ بينت الدراسة حول علاقة الشباب بهن البناء و الأشغال العمومية ليس راجعاً فقط لحالة عدم الاستقرار التي تطبع اليد العامة في هذا القطاع بل لصور الاجتماعية التي يتلقاها الشباب من المجتمع حول "البناء".

إلى إمكانيات وجود تفاوتات اجتماعية بين من أمكنهم الانخراط في "العمل النمطي" 14 (منصب عمل يضمن الأجر المستقر، الحماية الاجتماعية و المكانة الاجتماعية) و بين من لم تسعفهم الحظوظ الاجتماعية للاقتراب منه. وإذا سلمنا بالطرح الذي يقدمه روبرت كاستل 15 حول العلاقة بين المكانة التي يحتلها الفرد ضمن التقسيم الاجتماعي للعمل و مشاركته في شبكات التنشئة و الحماية الاجتماعيتين، و الذي يعتبر أنه،

" يوجد في الواقع علاقة قوية بين المكانة المحتلة ضمن تقسيم العمل و المشاركة في مختلف شبكات التنشئة الاجتماعية و منظومات الحماية التي "تغطي" فردا في مواجهة صعوبات الوجود. العمل - المستقر - الاندماج العلائقي القوي يميز منطقة الاندماج، و عكس ذلك أي غياب المشاركة في كل النشاطات الإنتاجية و العزلة العلائقية يؤدي إلى نشأة التبعات السلبية للإقصاء أو بالأحرى إلى ضياع الانتساب."

فإن الوضعيات الاجتماعية التي يحتلها الأفراد والوضعيات الاجتماعية لهم ضمن منظومة العمل المفتتة التي لا يمكن للمقاربة الإحصائية جرد طبيعتها النوعية 16، بإمكانها أن توضح لنا العلاقات مختلفة مع "مكان العمل"، مع "وقت العمل"، مع "القيمة الاجتماعية للعمل" و مع "موضوع العمل"، و هذه الاختلافات البنوية قد تعبر عن حالات اللامساواة المهنية كما بإمكانها أن تعبر عن حالات اللامساواة الاجتماعية نتيجة لعدم تساوي حظوظ الانخراط في العمل النمطي.

إن المتتبع لمسار تدخل الدولة في رسم خارطة للحقوق الاجتماعية بعد الاستقلال إلى غاية فترة تطبيق مخططات التصحيح الهيكلي يتراء له المسار التطوعي **volontariste** التي أخذها الاعتراف بتلك الحقوق بداية من الاعتراف بالحق في العمل، الحق في السكن، الحق في التعليم والحق في الصحة في محاولة التأسيس لدور محوري و أساسي للدولة على المجالات سالفة الذكر، فالدولة بعد انخراطها في سياسة المخططات التنموية أسست للحق في العمل وأصبح "العمل المأجور في القطاع العمومي" هو النموذج النمطي المرجو من غالبية طالبي العمل الذين لا يملكون سوى بيع قوة عملهم من أجل العيش (سواء في القطاع الصناعي أو في قطاع الوظيفة العمومية)، كما أسست لنموذج سوسيوثقافي قائم على سمو هذا النموذج النمطي (العمل المأجور في القطاع العمومي) على باقي أشكال النماذج التي كانت موجودة سابقا في الفترة الكولونيالية أو التي تواجدت مع بداية تطبيق المخططات، كما أسست لدور دولة الحماية و مفهومها الإجرائي الذي يسعى إلى احتضان "المسألة الاجتماعية" (عمل، صحة، سكن، منظومة الحماية الاجتماعية).

نعتبر ضمن هذا الطرح أن تعدد العلاقات الاجتماعية مع العمل و تعدد المعاني للاجتماعية المصاغة في ظل تنامي أهمية "الشغل الدائم **le plein emploi**" و في ظل اعتبار ظرف العمل المأجور العمومي الطرف تدفعنا لتحليل العلاقات مع العمل من بوصفه مدخلا لتحليل دور الدولة الاجتماعية 17 التي يجب أن توفر الشغل الدائم و تحافظ عليه، لذا فتصورات الشباب 18 التي لا تزال تعتبر ظرف العمل المأجور العمومي هو الطرف الوحيد للعمل هو امتداد لمختلف السياسات العمومية التي طبقت في الفترة السابقة والتي تعتبر أنه على "الدولة أن تضمن الشغل الدائم".

لا نعتبر إشكالية العلاقة مع العمل و مسألة أهمية الشغل الدائم **le plein emploi** خصوصية محلية بل هو حالة تميز العديد من المجتمعات خصوصا الصناعية منها التي وجدت نفسها في ظل أزمة نمط الإنتاج الفوردي تعيد النقاش حوله. نقول ميذا:

" لقد نجحت الدولة الاجتماعية في طرح بديل للطوبوية الاشتراكية التي كانت تسعى لتحرير العمل من خلال توجه بسيط يعطي للعمال في مقابل جهدهم حياة أفضل و يضمن الشغل الدائم. القرن العشرين هو قرن الشغل **emploi** و ليس قرن العمل، لذا يعود على الدولة أن تضمن لكل فرد في المجتمع منصب عمل يكون سبيلا للحصول على نصيب من الثروات و يكون من خلالها مكانة اجتماعية... الشغل هو العمل المأجور الذي لا يمثل فيه الأجر المقابل المادي لخدمة العمل فقط و لكن يمثل قناة الاستفادة من التكوين و من الحماية الاجتماعية و لإشباع الحاجات" 19.

تعتمد هذه الإشكالية التي تسعى لمواصلة البحث في "علاقة الجزائريين مع العمل" إلى الاعتماد على المقاربات الكيفية التي تعطي الفرصة للاقتراب من المعاني الاجتماعية للعمل وفق مسارات الاجتماعية للعينة التي يحددها كل محور بحث ضمن

¹⁴ Voir la notion des trois « s » (Salaire, sécurité et statut) chez Y. Benarosh « Le travail, norme et signification », centre d'étude de l'emploi, document de travail n° 04, Mai 200.

¹⁵ Robert Castel, *Op cité*, p

¹⁶ تكثفي في الكثير من الأحيان النتائج الإحصائية بتحديد العلاقة مع العمل وفق تعاريف المنظمة العامية للعمل و التي لا تعطي في غالب الأحيان إلا بواسطة الأرقام اعتمادا على مجال النشاط، طبيعة العمل (رسمي / غير رسمي)، سن النشاط... صورة إحصائية سناتيكية، في حين تبقى معطيات مقاربات الكيفية التي تتابع المسارات المهنية، انتقالها من حالة العمل إلى حالة البطالة إلى حالة العمل، بصورة ديناميكية ناقصة مقارنة مع الأولى.

¹⁷ Dominique MEDA (1995), *Le travail, une valeur en voie de disparition*, Paris, Alto Aubier, p 130- 138.

¹⁸ أنظر نتائج التحقيق حول "تقييم السياسات العمومية للتشغيل، التكوين و الترفيق لدى شباب ولايتي غرداية و وهران"، تحقيق على مستوى الوحدات السكنية، أجري ضمن المشاريع الوطنية للبحث، شمل 2000 وحدة سكنية و 5077 شابا (16-34 سنة)، 2012، تقرير غير منشور.

¹⁹ *Ibid*, p 136.

هذا المشروع، ونعتقد أن هذه المقاربات بإمكانها أن تسهم في مناقشة النتائج الإحصائية الرسمية²⁰ التي يشرف عليها الديوان الوطني للإحصاء و المرتبط بالتحقيقات حول " الشغل على مستوى الوحدات السكنية" 21 التي تجرى بطريقة منتظمة سنويا منذ 2004، كما بإمكانها أن تكون مؤشرا لتحليل العلاقات مع " الوضعيات العائلية المختلفة" (العزوبة، الزواج، الترميل)، لتحليل العلاقات مع مسارات تشكل المواطنة (مناقشة مبدأ الحق في العمل في إطار دولة الحماية الاجتماعية) و لمناقشة دور الحراك الجغرافي في تغيير العلاقات معه.

توزيع المهام (المحاور) على الباحثين :

عنوان المحور	الباحث
العمال الصناعي في تريفيلور اليوم: نهاية صورة العامل الشائع؟	1 فؤاد نوار
l'ouvrier industriel à Tréfilor : la fin de l'ouvrier majoritaire ? الشباب حاملي الشهادات، المواطنة و العلاقات مع العمل ضمن سياق الهشاشة المهنية في منطقة القبائل	2 كريم صرادوني
Jeunes diplômés, citoyenneté et rapport au travail à l'épreuve de la précarité en Kabylie تمثلات العلاقات مع العمل من خلال ذاكرة أرامل الثورة التحريرية في منطقة القبائل	3 كهينة شاكر
Le rapport et représentations du travail à travers la mémoire des veuves de guerre de libération nationale العلاقة بالعمل لدى عمال مؤسسة ALFON في ظل تبني معايير الجودة	4 نوال سعدي
Rapport au travail chez le personnel d'ALFON selon les critères de la qualité علاقة الشباب بالعمل في أبعاده الاجرائية (العلاقة مع وقت العمل، العلاقة مع المقابل المادي، العلاقة مع مكان العمل)	5 بو عبدالله قاسمي

²⁰ كيف يحدد البطال؟ ما معنى بطالة عند الإحصائي و عند المبحوث؟ ما معنى عمل عند الإحصائي و عند المبحوث ؟ كيف تحدد وضعية البطالة؟ كيف تحدد مختلف أشكال العمل؟ كيف يحدد وضعية ضمن العمل من خلال مؤشرات السن و الجنس؟ كيف تحدد العلاقات مع العمل من خلال الأجر؟...

²¹ « Les enquêtes emploi auprès des ménage », ONS